العين الدامعة عند شواعر الرثاء الخنساء نموذجا

م.د. نبراس خماس

جامعة تكريت /كلية التربية – طوز خورماتو

تاريخ استلام البحث ٢٠١٧/٤/٢٠ تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/٧/١٠

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً أما بعد:

فيهدف هذا البحث إلى دراسة العين الدامعة عند شواعر الرثاء ، وخصصت الخنساء لدراسة أشعارها الحزينة ، فالشعر في الغالب يعبر عن الأحاسيس والمشاعر ، ويأتي الشعر صادقاً لتصوير الحياة لدى العديد من الشعراء ، وهل أصدق من دموع الخنساء وعبارات البكاء في تصوير حزنها وفجيعتها بأخويها حتى أرتبط الرثاء لديها بأسلوبها وصار يعبر عن مأساتها وفكرتها التي أفنت عمرها في تقديمها . وظَّفتْ الخنساء العين بكونها الجزء الرئيسي في جسم الانسان التي يطل منها إلى عالمه الخارجي ، فكانت تنقل جَوى قلبها عن طريق حزنها وتصوير أساها على صخر من خلال دلالة البكاء لأنه الوسيلة الأولى للتفريج عن حزنها ؛ لذا فبكائياتها اجتازت الحاجز الزماني والمكاني عبر العصور والأجيال تحمل الرنة الحزينة المؤثرة في نفس كل قارئ ، فقد تحولت الدموع ألحان والعيون قيثارة تعزف عليها الخنساء ألحان خالدة خلود عاطفة الحزن والالم والفقد .

توطئة

يعد الرثاء من الفنون القريبة إلى القلب ؛ لأن مشاعر الرثاء صادقة نادراً ما يشوبها التكلف والجمود والافتعال ، فقد جوّد الشعراء في مراثيهم وعبروا من خلالها عن مشاعر اللوعة والانكسار والحزن الدفين في القلب الذي ظهر على العين أثره . وشعر الخنساء يعد من قبيل التأبين فقد أتخذ شكل ثناء ومديح لصخر ، والرثاء هو ((بكاء الميت وتعداد حسناته بالشعر والنثر))[١] فهي ترثيه بجميع الخصال والفضائل من كرم وشجاعة وسيادة ومروءة ونجدة وحماية الجار ورعاية الأرامل والأيتام والحزم والحكم [٢] ، حتى يتحول رثاؤها إلى مديح لصخر الأخ الذي فقدت بفقده كل هذه الخصال ، فظلت تبكيه وتستعظم رحيله فـ ((الرثاء كالمديح ، إذ هو مديح الميت ، وسبيله ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف ، وبالاستعظام إذا كان الميت ملكاً أو رئيساً))[٣] ، خالط شعر الرثاء لدى الخنساء شعر المديح لأن أغلب أشعارها كانت بدوية الصبغة جاهلية الطبع فالذي يقرأ أشعارها لولا التلهف والأسف وذكر الهالك لظن أن مايسمعه هو مديح ، كما ظلت اشعار الرثاء الجاهلية ((موزعة بين اتجاهين يبدو

أحدهما امتداداً لقصيدة المديح وضرباً من التعبير الخفي بخلود الروح ..... والاخر يتمثل في ضرب من النواح المعبر عن اللوعة الخالصة))[٤].

إن شعر الخنساء يعد من أفخم الشعر العربي في الرثاء ، لأنه يصدر عن عاطفه صادقة وقلب موجع ودموع خالية من كل تكلف ، فالشعر الصادق هو الذي يعبر عن وجدان صاحبه ، وصدق عاطفته ، لذا عدت عيون الخنساء بوابتها نحو الخلود لصدق بكائها وقد عبر أحد الاعراب عن صدق عواطفهم في مراثيهم عندما سأله الأصمعي ((ما بال المراثي أشرف اشعاركم ؟ فقال : لأننا نقول وقلوبنا محترقة))[٥] . وهذا ما منح شعر الرثاء الصدق والتأثير؛ لأن الشعراء يقولون ويعبرون عن قلوب اعتصرها الألم وعانت الأسى ، فاحتراق القلب يظهر في العين التي لازمت البكاء وفاءً على الفقيد فـ ((الشعر في المراثي إنما يقال على الوفاء ، فيقضي الشاعر بقوله حقوقاً سلفت ، أو على السجية اذا كان الشاعر قد فجع ببعض اهله))[٦] فأجتمع في شعر الخنساء الوفاء والسجية وكأن هذه الدموع المدرارة كانت رداً جميلاً لصخر لما له من فضل وإحسان على الشاعرة .

وقد آثرت ان اقف على جانب البكاء لدى الخنساء في ديوانها ؛ لأن ذكر الدمع والعين الباكية مرتبط بغرضي الرثاء والغزل ولا فارق بين الرجال والنساء في ذكر الدموع والبكاء فهو الوسيلة الأولى للتفريج من الهموم سواء كانت دموع فراق في الغزل أم دموع تلهف وتحسر في الرثاء فهذا ابن زريق البغدادي يذكر الدمع المستهل في الغزل كما ذكرته الخنساء في الرثاء إذ يقول[٧] :-

وكم تشبَّث بي يوم الرحيل ضحـــى وأدمـعـــي مستـهلات وأدمـعـه

وهذه الخنساء تقول[٨] :-

ياعَينِ جُـــودي بالدّمـــوع * المُسْتَـــــهِلاّتِ السّـــوَاـــحْ

ان بكاء ابن زريق هو بكاء المتغزل ، أما في رثاء الخنساء فقد التصق مفهوم البكاء بشعرها لكونها تخصصت بغرض واحد هو الرثاء ، فأفنت حياتها في تجويد مراثيها لذا نجد أغلب افتتاحيات قصائدها هي بكائيات تجاوزت المطالع المعروفة وأصبح لها تقليد جديد هو ((الدموع المدرارة التي كانت تجود بها العين الباكية التي لم تقف أمامها حدود المطالع التقليدية))[٩] فالخنساء اتخذت أسلوباً باكياً لم تنفك عنه في أغلب قصائدها ، فرددت ذكر العين الدامعة وحثتها على البكاء ومداومته، فإذا كان الأسلوب كما عرفه عبدالقاهر الجرجاني ((الضرب من النظم والطريقة فيه))[١٠] فالخنساء شقت طريقة خاصة بها واتخذت أسلوباً باكياً التزمته في كل اشعارها فهي باكية راثيه مادحة ، اختلط لديها المديح والرثاء بالدموع فعواطف الخنساء سارت على وتيره واحدة من الحزن المتدفق من العيون الباكية

النائحة ؛ لأن ((مشاعر الرجل أشبه بالتيارات السفلية ، عميقة ، ورزينة لاتكاد تحس ، ووجدانات المرأة أشبه بالفقاعات والموجات الصغيرة ، فهي حادة فجائية في الظاهر ، ولكنها سريعة التغير ، دانية الغور إلا في الحزن))[١١] والخنساء استخدمت العين الدامعة في أشعارها لتعطي دلالة على انكسارها وطغيان الحزن عليها ، فقد قاومت هذا الحزن بفيض من الدموع المستهلة واكثرت من ذكر العين لارتباط الدموع بالعين وبالحزن ذلك ((أن علامات الحزن تظهر في العين والقلب (إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن) ، وامارات حزن القلب تبدو في هيئة الانسان وسمته ، بينما العين تعبر عن حزنها في تكلم الدموع التي تسيل منها إلى آماقها وغروبها))[١٢] إن حزن القلب ظهر وبان في عيني الخنساء فقد ظلت تتغنى بذكر عينها البكّاءة وصلابة شعرها فلا نجد في شعرها ما يدل على انوثتها لولا الدموع والانكسار الذي ظهر في اشعارها والذي يظهر على المرأة اكثر من الرجل بل وتوصف به فما الفرق بين قول الخنساء[١٣] :-

هزبرٌ هريتُ الشّدقِ رئبالُ غابةٍ ** مخوفُ اللقاءِ جائبُ العينِ انجلُ

أخو الجودِ مَعروفٌ له الجودُ والنّدى ** حليفانِ ما قامتْ تعارُ ويذبلُ

وبين قول امرئ القيس[١٤] :-

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرةٍ ذمـول إذا صـام النهار أو اهجـرا

عليها فتى لم تحمل الارض مثله أبر بميـثـاق وأوفـى وأصبـرا

ففي الموضعين تشعر بأن نبرة الفخر لشاعر تظهر عليه سمات الرجولة والقوة ، ومميزات الجزالة والفحولة والابتعاد عن اللين والرقة ووصفت بأنها اشعر النساء لقوة شعرها وصلابته ((ولم يأت في شعر النساء خاصة أفحل ولا أجزل من شعر الخنساء ، كأن فقد رجالها جعلها رجلاً))[١٥] ولكن هذه الصلابة تختفي احياناً كثيرة لنجد خلفها مشاعر مرهفة الحس شديدة الحب والوفاء لأخيها ، تكشف عن طبيعة المرأة التي تستنجد في الأحزان بالدموع الغزيرة وسنقف في هذا البحث على مظاهر العين الدامعة في شعر الخنساء ، فقد تمظهرت العين بمظاهر متعددة في شعرها وظهرت بأنماط مختلفة فهي عين تجود (العين الجوَّادة) .

تقول الخنساء[١٦] :-

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ** ألا تبكيانِ لصخرِ النّدى ؟ ألا تبكـيان الجـــريء

الجمـــــيعَ ألا تبكـيـــان الفـــتى السيـــدا

ويكشف النص عن براعة الخنساء في انتقاء الألفاظ والأساليب المعبرة عن حزنها وانكسارها لفقد صخر ، فقد جمعت في البيتين أساليب وظفتها في الإفصاح عن حزنها ، فهي تفتتح القصيدة بأسلوب انشائي وهو نداء الحزن والأسى والمنادى هو العين التي توجه اليها الأمر الجود بالدمع وهو أمر غرضه التمني فهي في قرارة نفسها تتمنى أن تستمر بالبكاء ؛لان البكاء يرتبط لديها بالوفاء .

وتقول[١٧] :-

يا عينِ جودي بدَمْـعٍ غَيرِ إنْـزَافِ *و ابكي لصـخرٍ فلـــنْ يكفيـــكهِ كـــافِ

مما يلحظ على هذه المرثية عمق المعاني وحرارة العاطفة وصدق الإحساس ، وابتعاد عن افتعال الحزن لأنه رثاء نابع من إحساس الشاعرة الحزينة التي تجرعت الألم ، ابتدأت أبيات الشاعرة بنداء القريب (ياعين) والمنادى عينها التي هي أقرب من تسعفها وتستجيب لندائها وهي الشاهد على حزن قلبها .

ولا تنفك تستحث العين للجود بالدمع قائلة[١٨] :-

عَيْـنِ جُـودي بـدُمُـوعٍ مُنهـمرْ وابكيـا صَخْـراً بكـاءً غَيْرَ سـرْ

أن شفافية كلمات الخنساء تشف عن الفقد وهو المفجر الحقيقي للعين لكي تجود بدموع منهمرة ، الفقد الذي دفع الخنساء للإبداع فصاغت دموعها أدباً خالداً ومشاعر انسانية صادقة تظهر خلفها نفس الشاعرة المتألمة .

وتكرر حديثها للعين قائلة[١٩] :-

ياعيــن جودي بدمــع منك مــغزار وابكــي لصخر بدمــعِ منكِ مِــدْرارِ

تخاطب الخنساء عينها وتطالبها أن تجود بدموع غزيرة ، واختارت صيغة المبالغة (مغزار) دلالة على كثرة البكاء وغزارته فهي في موضع تطالب فيه العين بالجود فلابد أن تأتي بأوصاف مبالغة مثل (مغزار ومدرار) وتعطف على الجود بالدمع المغزار البكاء بدمع مدرار ، وكررت (بدمع منك) مرتين لتنفذ إلى حزن يسكن نفسها تحاول أن تفرج عنه بالدموع ، وتفصح عن هذا الحزن بتكرار ذكر البكاء و أوصافه المبالغ فيه؛ ((لأن العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية ، تغني الشاعر عن الإفصاح المباشر ، وتصل القارئ بمدىً كثافة الذروة العاطفية عنّده))[٢٠]

ومن أنماط العين في شعر الخنساء العين الباكية ، وقد تكرر في حديثها ذكر البكاء ومشتقاته فهي تذكر مع العين (هلا تبكيان ، تبكين ، فابكي ، ياعين بكي) تقول[٢١] :-

أعَينيّ هلاّ تبكيانِ على صَخْرِ ** بدمعٍ حَثيثٍ لا بَكيٍّ ولا نَزْرِ

فتَسْتَفرِغانِ الدّمْعَ أوْ تُذْرِيانِهِ ** على ذي النُّهى والباع والنائلِ الغمرِ

جاءت الدموع في هذه القصيدة معبره عن الانكسار والأسى ، فضلاً عن المشاعر الرقيقة التي عبرت عنها لغة الخنساء ، إذ إن ((لغة كهذه التي يستخدمها الشاعر ، لغة يتقلص تحت غطائها الثقيل مخزون كبير من المشاعر))[٢٢] فالخنساء تريد من لغتها أن تعبر عن مكنونات نفسها الحزينة ، فقد جمعت في بيتها كل صفات البكاء فهي تريده دمع متدارك غزيز ، كما جمعت كل صفات صخر الأخ المرثي الذي اذا اعطى كثيراً . فكثرة البكاء تنسجم مع عطاء الاخ الكَريم ، لذا طالبت عينيها بالكرم واستفراغ الدمع لكي يلائم مقام الأخ المرثي .

وتقول[٢٣] :-

يا عَينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابا ؟ ** اِذْ رابَ دهرٌ وكانَ الدّهرُ ريَّاباَ

فابْكي أخاكِ لأيْتامٍ وأرْمَلَةٍ ، ** وأبكي اخــاكِ اذا جاورتِ أجــنابــاَ

وابكي اخاكِ لخيلٍ كالقطا عُصبٍ** فقــدْنَ لَّمــا ثــوى سيبــاً وأنهابــاَ

إن دوافع البكاء عند الخنساء ارتبطت بذكريات صخر الأخ الكريم ، الشجاع ، المعطاء ، فهي تستلذ الدمع وتستديمه وفاءً لهذه الذكرى التي بقيت تربطها بصخر وكأنها لا تريد أن تسلو أو تنسى ذكره وكان الشعر وسيلتها في ذلك ؛ لأن ((الشعر يبعث النفس الإنسانية كلها إلى الإنفعال))[٢٤] وكأن انفعال الشاعرة وبكاؤها وصفاً (حكائياً) ينطوي على محاكاة العين ، فالعين مصدر الدموع (ياَ عينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابا) والتسكاب هنا مصدر الفعل سكب وهو مصدر يدل على الكثرة فهي تريد لهذا البكاء إن يكون غزيزاً ، وتعطف الشاعرة فعل البكاء (فابكي ، ابكي) فقد استعلت فعل البكاء لتعداد فضائل صخر فهو الكريم الكافل للأرامل والأيتام ، وهو نعم القوم لجار الجنابةَ) وهوالشجاع الحامي مايحق عليه حمايته ، إن هذا التكرار الطاغي للفظة العين يكشف عن نفس متألمة وجدت في الرثاء متنفسها في التعبير عن اشجانها . وتكرر البكاء في قولها[٢٥] :-

أعَينِ ألا فَابْكي لِصَخْرٍ بدِرَّةٍ ** اذا الخيلُ منْ طولِ الوجيفِ اقشعرَّتِ

لقد برعت الخنساء في تصوير دمعها فاستعارات للدمع دِرَّة اللبن ،والدَرّة : دِرَّة اللبن ، وانما أرادت الدموع ها هنا فاستعارته فهي تريد دمعاً كثيراً يدّركما يدرّ اللبن .

وقالت[٢٦] :-

ياعين بكي على صخرٍ لاشجانِ وهاجسٍ في ضمير القلب حرَّانِ

ارتبط بكاء العين عند الخنساء بحزن قلبها؛ لانها سارت على وتيرة واحدة ألا وهي وتيرة الحزن والاسى وذرف الدموع وعاطفتها صادقة نابعة من أحاسيسها الصادقة أحاسيس مَنْ انهكه الحزن والذكرى ، مثلما ارتبط التذكر عندها بذرف العبرات ، فحين يظل الصدر كاظماً للحرقة الداخلية فتلك الحرقة لا يطفئها أي عزاء مهما كان نوعه ، وقلب الخنساء كان يذوب من تلك المعاناة فـ ((العين رقيب القلب))[٢٧] تظهر مافيه من حزن عن طريق العبرات التي لازمت الخنساء ، وهي تردد هذا المعنى كثيراً فتقول[٢٨] :-

تذكّرْتُ صَخْراً إنْ تَغَنّتْ حمامَةٌ ** هَتوفٌ على غُصْنٍ من الأينِ تَسجعُ

فظلتُ لها أبــكي بعينٍ غزيرةٍ ** وقَــلْــبيَ مِمّــا ذَكّــرْتِنــيه مُــوْجَــعُ

شاركت الخنساء هذه الحمامة في البكاء ، وتوافق حزن قلبها مع سجع الحمامة ، فكانت الدموع الغزيرة هي سبيل الشاعرة للتنفيس عن هذا الحزن فالقلب تعلق بصخر وبذكراه وظلت الخنساء محافظة على هذه الذكرى تجدد عهدها لصخر بالدموع الغزيرة.

وظل حزن الخنساء رثاءً مميزاً فريداً ؛ لان الرثاء ((فن جودت المرأة فيه ، بعد أن كان تقليداً موروثاً لدى الرجل ، وذلك بأن حولته إلى الدموع غزار على الميت))[٢٩] فعين الخنساء جاءت موصوفة بالغزارة وكثرة الدمع لتجاوب قلبها مع هتاف الحمامة وسجعها الحزين ، فالقلب هو الذي يحزن ويرسل اشاراته للعين لأنّ العين أداة الدمع .

وتربط الخنساء بكاءها مع مظاهر الطبيعة فهي متكرره وكأنها تريد لهذه الدموع الديمومة والاستمرارية فهي دائمة كنوح الحمام وضياء النجوم للساري تقول[٣٠] :-

وسوْفَ أبكيــكَ ما ناحَــتْ مُطَوَّقَةٌ ** ومــا اضــاءتْ نجــومُ اللَّيــلِ للسَّــاري

وتخاطب نفسها قائلة[٣١] :-

ما باكُ عينــكِ منــها المــاءُ مهــراقُ ** سحــاً فــلا عــازبٌ مــنهــا ولاواقِ

تبكــي علــى هــالكٍ ولّى فــأورثنــي عنــد التــفــرُّق حُــزْناً حَــرُّهُ بــاقِ

....

... .

لأبكينّكَ مـا ناحـت مُـطوَّقـةٌ وما سـريتُ مع السـاري على سـاقِ
تبـكي لفـرقتهِ عَـينٌ مفـجعـةٌ مـا إن يجـفُّ لهـا مـن ذكـرهِ مَـاقي

تقدم الخنساء نصاً مشحوناً بالعاطفة والبكاء ، فهي تخاطب نفسها وتسألها عن سبب بكائها وكأنها بهذه الاسئلة الاستنكارية تريد ان تشير إلى الغرابة من كثرة البكاء والسبب الذي دفعها إلى هذا الدمع المهراق الذي هو دمع شاهد يصب صباً لا يسكن ولا يجف ، ثم تصرح بأن هذا البكاء سببه هالك أيّ (صخر) الذي أورث فراقه قلبها حزناً بقى حره وأثره يلهب مشاعرها وعبّرت العين عن ذلك الحر بالدمع ، وتؤكد بصيغة الفعل المضارع المؤكد المسبوق بالقسم (لا بكينّك) بقاء هذا البكاء واستمراره . وتختم قصيدتها بأن العين التي استفهمت عن سبب بكاء في مقدمة القصيدة هي عين مُحزَّنة من ذكر هذا الهالك .

منحت لفظة العين النصوص طاقة معنوية ، وشحنتها فهذا الاستحضار المتجدد في ذاكرة الخنساء وتمسكها بمشاعرها الصادقة المرصعة بالدموع والدائمة ، اظهر عبقرية شعرها وأبداعها ، إن علاقة العين بالدموع علاقة متجددة لدى الخنساء تظهر باشكال متعددة مرتبطة بذات الخنساء ، فهي لاتتحدث عن العيون دون وصفها ودون استحضار العبرات بوصفها الوجه الآخر للفاجعة تقول[٣٢] :-

أيا عـــين مـــالكِ لاتهجـعينـا وتبكيـــــن إذ حـــل مـاتكـــرهيـــنا

تأتي العين في اغلب نصوص الخنساء وكأنها معادل موضوعي لحالة الحزن التي تحاول الشاعرة تجسيدها فهي تتحاور معها وتعاتبها ألا تنامين وتهدأين، ويأتي رد العين[٣٣]:-

لِصخـرِ بـن عمـرو فُجعـنا بِـــهِ فـــجلَّـتْ رَزِيـــئَـتهُ إذْ رُزِيْـــــنَـا
رُزِئْنَا أَخـا المـجـدِ والمـكرمـاتِ فأصبـــحَ فـــي العُصـبْـــةِ المـــاكِثينـا
فيـا صخـرُ لا يُبْـعدَنـك الملـيكُ فـقـد كنـتَ رُكنـا وحِصـناً حَصِيـنا

إن سبب حزن العين وبكائها المستمر وعدم سكونها هو صخر ذلك الاسم الذي دوى صوته وحروفه في ذاكرة الخنساء وفي بكائياتها فكل بكاء هو لصخر ذلك الحصن الحصين الذي فقدته الخنساء ، فتبكيه وتعظم من مأساتها برحيله ونلحظ ذلك من تكرار الألفاظ (رزيئته ، رُزينا ، رزئنا) والرزيئة هي المصيبة ، فقد تناغمت هذه الالفاظ مع حالة الحزن التي تعانيها الشاعرة فـ ((النساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة، وأشدهم جزعاً على هالك؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة. وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء))[٣٤] إن شدة وقع المصيبة على الخنساء تظل تطرق ذاكرتها ، وتبكيها بعيون داومت على عهد البكاء وتستمر قصيدتها بذكر البكاء فتقول[٣٥] :-

فَلَوْ أنّ حَيًّا بَكَتْهُ البِلَادُ لبَكَّيْنَهُ ثُمَّ حَنَّتْ حَنِينَا
ولكنَّني سَوْفَ أَبْكِي عَلَيْكَ ومِثْلُ فِرَاقِكَ أَبْكَى العُيُونَا
فَبَكِّي أَخَاكِ لِآلِآئِهِ إذا اَلَمجْدُ ضَيَّعَهُ السَّائِسُونَا

فالخنساء تصور حجم مصيبتها بأنها مصيبة عامة فلو إن البلاد يبكين فقد أحدٍ لبكت صخراً حنيناً عليه ، إن هذا الحضور الدائم لفعل البكاء يكشف عن عاطفة صادقة وبكاءٍ صادقٍ مستمرٍ فهذا التكرار في شعرها أصبح وسيلة من وسائل الإبداع ، فتكرار الفاظ البكاء (بكته ، لبكينه ، أبكي ، أبْكى ، فبكِّي) ليس مجرد إعادة لهذه الصيغة وانما التكرار تحول إلى ترداد لمشاعر حزينة وتحول إلى نغمات مرددة خالدة في النفس تُخلد شعر الخنساء وصدق عاطفتها.

ويستمر استفهام الخنساء فتقول[٣٦] :

أمنْ حدثِ الايَّامِ عينكِ تهملُ ** وتبْكي على صخرٍ وفي الدَّهرِ مذهلُ
الاَ منْ لعينٍ لا تجفُّ دموعها ** إذا قُلتُ تَرْقا تَستَهِلّ فتخضِلُ

تخاطب الخنساء نفسها عبر أسلوب السؤال وتسألها عن سبب بكائها ، إذْ ((إن السؤال بث المرارة لأنه استنكاري ، والاستنكار يشمل مجمل ما هو مسيء إلى الواقع الموضوعي والذاتي))[٣٧] تستنكر الشاعرة أن يكون الدهر منسىً لصخر الذي كتب حروفه في ذاكرتها وظل فقده يُبكيها ويُؤلمها ، فحافظت على عهد الدموع ، وظلت عيونها تصب دمعاً فكلما حاولت حبس الدموع تعود فتصب سريعاً، إذ إن السؤال بث مرارة الفقد التي تهيج الدموع المدرارة .

ولانجد عند الخنساء اختلاف الدمع ، فكل ذكر للعين نجد معه وصف يدل على كثرة البكاء وغزارته ، وقد نوعت الأوصاف ووظفتها الشاعرة للدلالة على حرارة البكاء الناتج عن حرارة قلبها أثر فقد أخويها وبالأخص (صخر) لما له من ايادي كثيرة على الشاعرة ، ونستخلص من اشعار الخنساء إن الدمع والعيون الباكية في الرثاء كانت خاصة برثاء اخيها صخر ؛لأنها عندما ترثي ابن اخيها (كُرز) لا نجد صورة من صور البكاء ، ولا وصفاً من أوصاف العيون الباكية، تقول[٣٨]

منْ لامني في حُبِّ كُرْزٍ وذكرهِ ** فلاقى الذي لا قيتُ إذْ حُفِرَ الرَّجمْ
فيا حَبّذا كُرْزٌ إذا الخَيْلُ أدبَرَتْ ** وثارَ غبارٌ في الدَّهاسِ وفي الاكمْ
فنِعْمَ الفَتى تَعشوا إلى ضَوءِ نارِهِ ** كُريْزُ بنُ صَخرٍ ليلةَ الرّيحِ والظُّلَمْ

نجد في هذه المقطوعة رثاء الخنساء يختلف عن رثاء صخر ، فلا ذكر للدموع ولا اوصافها وكأنها آثرت تلك الاوصاف لصخر لمكانته وقربه من نفسها ،حتى عند فقد الابناء لا نجد اشعار لرثائهم في ديوانها ولا ذكر البكاء والدموع ،فبكاء الخنساء على صخر ، وعظم مصيبتها به الهاها عن كل حزن ؛ لذا فاق حزنها وبكاؤها عليه حزنها على فقد أبنائها ، فأي عاطفة صادقة تحملها الخنساء تجاه صخر ؟!! تقول((٣٩)):

فلستُ ازرًا بعدهُ برزَّيةٍ ** فاذكرهُ الاَّ سلتْ وَتجلَّتِ

فكل المصائب بعد فقد صخر تهون على نفسها حتى وإن كانت فقد فلذات الأكباد (الأبناء) أي صدق في المشاعر والعواطف لون أشعارها وكساها بالخلود.

إن استمرار البكاء بعد الإسلام هو عهدٌ ووفاء لصخر ، واشفاقٌ عليه فقد روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال للخنساء ((«ما أقرح مآقي عينيك» ؟

قالت: «بكائي على السادات من مضر» ، قال: «يا خنساء إنهم في النار» ، قالت: ذلك أطول لعويلي))[٤٠] وروي الخبر من جهة أخرى أنها مرت بالمدينة ومعها أناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقالوا : ((هذه خنساء، فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والإسلام» ، فقام عمر وأتاها وقال: «يا خنساء» ، قال: فرفعت رأسها، فقالت: «ما تشاء وما الذي تريد» ؟ فقال: «ما الذي أقرح مآقي عينيك» ؟ قالت: «البكاء على سادات مضر» . قال: «إنهم هلكوا في الجاهلية، وهم أعضاد اللهب، وحشو جهنم قالت: «فداك أبي وأمي، فذلك الذي زادني وجعاً»))[٤١] إن بكاء الخنساء على صخر هو بكاء وفاء واكرام وانها كانت تبكيه قبل الاسلام لفقد الحياة أما بعد الاسلام فبكته خوفاً واشفاقاً عليه من النار والحساب[٤٢] تلك الخنساء التي صاغت دموعها ادباً خالداً ومشاعر انسانية صادقة .

الخاتمة :-

توصل البحث إلى نتائج يمكن ان نجمل ابرزها على النحو الاتي :-

- تتردد صيغ النداء في مطالع الخنساء مقرونة بالتعبير عن شدة الوجد ، والإشارة إلى كثافة الدمع .
- ترجمت دموع الخنساء عاطفتها وانفعالها ، وأودعت حزنها في حروفها فكل قارئ يستشعر صدق عاطفتها وحجم حزنها .
- إن الخنساء إنما تبكي شمائلاً زالت وفنيت بفناء صخر فبكاؤها هو وفاء ورد جميل لأخيها .
- إن شعرها في أخيها صخر هو تأبين لذكرى صخر فهي تبكي خصال وتعددها .

- الفاظ الخنساء سهلة معبرة عن عاطفة الحزن والأسى واللوعة وشخصيتها تظهر من خلال النص ، فهي امرأة رقيقة الشعور مرهفة الحس شديدة الحب والوفاء لأخيها .

الهوامش :-

١. الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ، حسين جمعة : ٥.
٢. ينظر الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري :١٩٨ .
٣. ينظر العمدة لابن رشيق القيرواني ، ٢ :١٧٤.
٤. شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين الدكتور محمود عبدالله الجادر : ٤٠٧.
٥. العقد الفريد لا حمد بن عبد ربه ، ٣: ٢٢٨.
٦. تاريخ آداب العرب ،الرافعي ،٢ :٩٦ .
٧. شعراء الواحدة ، نعمان ماهر الكنعاني :٩٦ .
٨. ديوان الخنساء بشرح ثعلب ،تحقيق انور ابو سويلم :٣٢٨ .
٩- نظرات نقدية في الادب العربي ، نوري حمودي القيسي :٦٩ .
١٠- دلائل الاعجاز ، عبدالقادر الجرجاني : ٣٠٥ .
١١- المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي :٦٨ .
١٢- العين والرثاء في شعر الخنساء آراء وقرارات، مالك فيصل الدندشي : ١ .
١٣- ديوان الخنساء : ٣٢٣ -٣٢٤
١٤- ديوان امرىء القيس ، شرح وتعليق محمد الاسكندراني ، نهاد رزوق : ٨٥ .
١٥- تاريخ آداب العرب ، ٢: ٦٢ .
١٦- ديوان الخنساء : ١٤٣ .
١٧- م .ن : ٤٠٧ .
١٨- م . ن :٤١٠ .

١٩- م . ن :٢٩٠ .

٢٠- التكرير بين المثير والتأثير ، عزالدين علي السيد : ٢٩٨ .

٢١- ديوان الخنساء : ١٢٧- ١٢٨.

٢٢- رؤيا العصر الغاضب ، مقالات في الشعر ، ماجد صالح السامرائي :١١٢ .

٢٣- ديوان الخنساء ١٤٨-١٤٩ .

٢٤- النقد الأدبي ،محمد زغلول سلام :٥٦.

٢٥- ديوان الخنساء : ١٩٠ .

٢٦- م .ن : ٤١١ .

٢٧- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة : أختاره أبو تمام حبيب بن اوس) ، المؤلف : يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي : ٧٣ .

٢٨- ديوان الخنساء : ٣١٧ .

٢٩- رمز المرأة في أدب أيام العرب ، عادل جاسم البياتي : ١٧٣.

٣٠- ديوان الخنساء : ٢٩٣، وينظر م . ن: ٣٩٣.

٣١- م . ن : ٣٠٤- ٣٠٥.

٣٢- م . ن : ٣٥٠.

٣٣- م . ن : ٣٥١ .

٣٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي بن رشيق القيرواني ، ٢ :١٥٣.

٣٥- ديوان الخنساء :٣٥٢- ٣٥٣ .

٣٦- م . ن : ٣١٨ .

٣٧- القصيدة لا الشعر ،دريد يحيى : ٤٦ .

٣٨- ديوان الخنساء : ١٩٨-١٩٩ .

٣٩- ديوان الخنساء : ٤١٨.

٤٠- المحاسن والاضداد للجاحظ : ١٧٢ .

٤١- م . ن :١٧٢.

٤٢- ينظر المراثي والمواعظ والوصايا للمبرد ، ١٠٣.

المصادر والمراجع:-

١-تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، مكتبة الايمان ، المنصورة ، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢- التكرير بين المثير والتأثير ، عزالدين علي السيد ، عالم الكتب ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٣- دلائل الاعجاز ، عبدالقادر الجرجاني ، طبعة رشيد رضا ، شركة الطباعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٤- ديوان امرئ القيس ، شرح وتعليق محمد الاسكندراني ، نهاد رزوق ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د. ط ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٥- ديوان الخنساء ، شرحه ثعلب ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي (ت٢٩١هـ) ، حققه الدكتور أنور ابو سويلم ، دار عمار، الاردن – عمان ، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٦- رؤيا العصر الغاضب ، مقالات في الشعر ، ماجد صالح السامرائي ،دار الطليعة- بيروت ، ط ٤ ،١٩٨٢م .

٧- شعراء الواحدة ، نعمان ماهر الكنعاني ، مطبعة بابل، مكتبة النقاء ، بغداد ، ط١- ١٩٦٧م .

٨- شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية ، الدكتور محمود عبدالله الجادر ، دار الرسالة ،بغداد ، ١٩٧٩م ، د . ط .

٩- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة : اختاره أبو تمام حبيب بن اوس) ، المؤلف : يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ، أبو زكريا ، دار القلم – بيروت ، د . ط ، د .ت.

١٠- الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) ، يحيى الجبوري ، دار التربية – بغداد ، د.ت ، د.ط.

١١- العقد الفريد ، ابو عمر ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن جدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

١٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الطلائع ،القاهرة ، ، د . ط ، ٢٠٠٩م .

١٣- القصيدة لا الشعر ، دراسة نصية لعدد من قصائد الشعر الحديث في سورية ، دريد يحيى الخواجة ، ط١، ١٩٩٢م .

١٤- المحاسن والأضداد ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ، د. ط ، ١٤٢٣ هـ .

١٥- والمراثي والمواعظ والوصايا ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد ، تحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،د .ت ، د . ط .

١٦- المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، د. ت .

١٧- نظرات نقدية في الادب العربي ، نوري حمودي القيسي ، ، مؤسسة دار الكتب للطباعة ، جامعة الموصل ، د . ط ، ١٩٧٧م .

١٨- النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، محمد زغلول سلام ،دار المعارف، الاسكندرية ، د . ط ،

الرسائل الجامعية :

١ –الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ، حسين جمعة ، (رسالة ماجستير) اشراف الدكتور عمرو موسى باشا ، جامعة دمشق كلية الآداب ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

الدوريات:

١- رمز المرأة في أدب أيام العرب ، عادل جاسم البياتي ،مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد (٢٢) ، ١٩٧٨.

٢- العين والرثاء في شعر الخنساء آراء وقرارات، مالك فيصل الدندشي ، شبكة الانترنت ،١٤ نوفمبر ، ٢٠١٤ م

Abstract

The current research aims to study tearful eye of lamentation ege specially khanssaa , to study her sacl poems , poetry through the sensation and feeling , comes frue to portray life , and the houesty of khaussaa tears , and evying expression in the khaussaa poetry were associated with her , which her though has long been sponsor . The eye has been employed as the main part of humoum body , and moving her heart through grief . She depicts her grief on . a stone through tears , as if is the first means of release carefree of her heart , passed the time and space barrier through the ages and generation , holds the sad, moving sounds in the same reader carries the same crying, tears turned into melodies , eyes playing guitar , eterual melodies of passion of grief , pain and loss .